تجليَّات (الإيتوس) في الشعر الإسلامي القُرشي دراسة على ضوء نظرية المُساءلة والمعنى لـ(ميشيل ماير)

Manifestations of Aetos in Qurayshi Islamic poetry

A study in light of accountability and meaning theory by (Michel Mayer)

أ. د : عبد الباقي بدر الخزرجي م. م : أَحمد سميسم علاوي

قسم اللغة العربية/ كُليَّة الآداب/الجامعة المُستنصرية قسم اللغة العربية/ كُليَّة الآداب/ الجامعة المُستنصرية.

Asst.L. Ahmed Sumaisem Allawi *Prof. Dr. Abdul-Baqi Badr Al-Khazraji*

Mustansiriah University College of Arts Dept. of Arabic Language

ahmedalawi@uomustansirivah.edu.iq.

المستخلص :

يَنْطَلِقُ (ماير) مِنْ فَلْسَفَةِ (أَرسطو) ،غَيْرَ أَنَّه اسْتَبْدَلَ مُنطَلَقَاتَ الحِجَاجِ لَدَى (أرسطو) من اللوغوس (Logosوالباتوس (Pathos)والإيتوس (Ethos)إلَى الأخلاق والسُّؤَال والجَوَاب غير أنَّ (ماير) دَمَجَ بين الإيتوس والباتوس تحت مُسَمَّى لَحْظَة الأَخْلَاقِ ،وَقَسَّمَ اللوغوس إلى لَحْظَةِ الجَوابِ والسُّؤال، إذا كَانَ المُتَكَلِّمُ مَشْهُوْرَاً بالأَخْلَاقِ المَحْمُوْدَةِ ، فالإيتوس يُمَثِّلُ المَنْظُوْمَةَ الأَخْلَاقِيَّةَ وَالثَّقَافِيَّةَ والقِيَمِيَّة والتِي يَتَّكِئُ عَلَيْهَا مُنْتِجُ الخِطَابِ فِي إدَاءِ رَسَالَتِهِ ،فَتُمَكِّنَهُ مِن اسْتِمَالَةِ المُتَلَقِّي وَالتَّأْثِيْرِ فِيْهِ وَإِقْنَاعِهِ، فَتُكَوِّنُ رصيداً معرفيَّاً ينال على إثرها قناعة المُتلقي واستِمَالتِهِ، ومِن ثَمَّة كَسب تأييدِهِ.

فجاء البحث موسوماً بـ تجليَّات (الإيتوس) في الشعر الإسلامي القُرشي دراسة على ضوء نظرية المُساءلة والمعنى لـ(ميشيل ماير) على وفق مُكَوِّنَاتِ القِيَمِ فِي ثَلَاثَةِ مَحَاوِرٍ: المِحْوَرُ الوجداني وَالمِحْوَرُ السِّلُوْكِي، وَالمِحْوَرُ المَعْرِفِي.

الكلمات المفتاحية : مَاير ، الإيتوس ،الوجدان، الحكمة، المعرفة.

Abstract:

Mayer stems from (Aristotle) philosophy, except that he substituted the arguments for Aristotle's arguments from Logos, Patos and Ethos. However, (Meyer) Integration between Ethos and Patos under the name of the moment of ethics, and a section of the Logos to the moment the answer and question, if the speaker is famous moral Praised, Valaitus represents a moral and cultural value system, which is leaning against the speech product in the performance of his It enables him to co-opt, influence, and persuade the recipient, thus forming a cognitive asset that attains the recipient's conviction and approval, and thus the recipient's approval.

Key Words: *Semiotic techniques , Quranic discourse , modern literary curricula, semiotic approach , Surat Yusuf.*

المقدمة :

يُعَد الإيتوس مَجْمُوْعَةً مِنَ القِيَمِ، يَسْتَمِدُّهَا الشَّاعِرُ مِن مَرْجَعيِّاتٍ مُتُعَدُّدَةٍ ؛مِنْ أَجْلِ التَّأْثِيْرِ فِي الجَمْهُورِ بِصِحَّةِ وِجْهَةِ نَظَرِهِ التِي يَعْرِضُهَا فِي أثناء خِطَابِهِ الشِّعْرِي، فَالقِيَمُ الأَخْلَاقِيَّةُ لَهَا حُجَّةٌ مُجْتَمَعِيَّةٌ؛ لِارْتِبَاطِهَا بِالشَّرَائِعِ وَالأَدْيَانِ وَالعَادَاتِ وَالأَعْرَافِ مِنْ جِهَةٍ ،وَمِنْ جِهَةٍ أُخْرَى تَمْتَازُ هَذِهِ القِيَمُ بِالعُمُوْمِيَّةِ وَالسُّمُوِّ وَالإِنْسَانِيَّةِ التِي تكوْنُ رَاسِخَةٌ فِي أَذْهَانِ النَّاسِ وَمُعتَقَدَاتِهِم، وَتَمتَازُ بِالحُجَّةِ وَالمِصْدَاقِيَّةِ ، فَمَنْ يَتَمَتَّعُ بِمَهَارَاتٍ خُلُقِيَّةٍ وَسُلُوْكِيَّةٍ ذَاتِ طَابِعٍ أَخْلَاقِيٍّ أَوْ عِلْمِيٍّ، يَصْبَحُ مُؤَثِّرَاً فِي الجَمِيْعِ، وَيَسْعَى الآخرُون إِلَى تَقْلِيدِهِ فِي أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ، وَمِنْ ثَمَّ تَبَنِّي آرَائِهِ، وَيَصْبَحُ ذُات مَرْجَعِيَّةٍ اِجْتِمَاعِيَّةٍ تُحتِّمُ طَاعَتَهُ وَالإِقْتِدَاءَ بِهِ. وهي على نوَعْين" مُجرّدة مثل العدل والحق، أو محسوسة مثل الوطن (قادا ، ٢٠١٦، صفحة ١٦٣).

وتُسمي د. سامية الدريدي القيم المُجَرَّدة بالقيم الكونية "فَالحِجَاجُ اعْتِمَادَاً على القِيَمِ الكَوْنِيَّةِ يَعْنِي اسْتِدْعَاء الخَيْر وَالحَقِّ وَالجَمَالِ ،وَاتِّخَاذِهَا مَرَاجِعَ فِي الكَلَامِ، وَخَلْفِيَّاتٍ إِلَيْهَا يَسْتَنِدُ القَوْلُ، وَعَلَيْهَا يَتَأَسَّسُ الرَّأْيُ وَالمَوْقِفُ (الدريدي، ٢٠١١م، صفحة ٢٧١)، وَمِمَّا لا شَكَّ فِيْهِ أَنَّ هَذِهِ القِيَمَ مُؤَثِّرَةٌ وَفَاعِلَةٌ ،وَإِنَّ حُضُوْرَهَا في الخِطَابِ الحِجَاجِي كَفِيْلٌ بِحَمْلِ المُتَلَقِّي على وِجْهَةٍ مُحَدَّدَةٍ ولا سِيَّمَا إِذَا مَا تَمَّ عَدُّ هَذِهِ القِيَمِ مَفَاهِيم لابُدَّ مِنْ مَصَادِيْقَ لَهَا على الوَاقِعِ.

أَمَّا القِيَمُ المَحْسُوْسَةُ فهِي مَجْمُوْعةٌ مِنَ السِّلُوكِ الأَخْلَاقِي التِي اتَّفَقَ عَلَيْهَا المُجْتَمَعُ عَلَى شَكْلِ سِلُوْكٍ جَمْعِيٍّ وَأَصْبَحَتْ لَهَا قِيْمَةٌ تَأثِيرِيَّةٌ فِي الإِقْنَاعِ. وَقَدْ يَلْجَأُ إِلَيْهَا مُنْتِجُ الخِطَابِ مُتَسَلِّحَاً بَهَا ؛لأَجْلِ التَّأْثِيْرِ عَلَى المُتَلَقِّي ،وَاسْتِمَالَتِهِ عَقْلَاً وَوجْدَانَاً، فَتَرَاهُ يَرْفِضُ إِتجاهاً مَا أَو رَأياً مِن الآرَاء بِدَعْوَى أَنَّهَا تُعَارِضُ قِيْمَة مُعيَّنَة ،وَقَد تَدْخَلُ

حُجَّةُ الشَّخْصِ وَأَعْمَالِهِ بوصفهاَ دَلِيلاً عَلَى سُلُوْكِ الشَّخْصِ دَاخِلَ السِّيَاقِ التَّحَاوِرِي أَوْ التَّخْيِلِي "إِنَّ الَعَلَّاقةَ بَينَ الشَّخْصِ وَأَعْمَالِهِ عَلَاقَةٌ تَفَاعُلِيَّةٌ؛ فَصُورةُ الشَّخصِ تَتَكَوَّنُ فِي أذهَانِنَا مِن الاعمَال التِي قَامَ بِهَا (مشبال، ٢٠١٧م، صفحة ١٤٣).

فهي "من شَأْنِهَا أَنْ تُوَجِّهَ الفِعْلَ ،وَتُقَيِّدَ السُّلُوْكَ، وَهِيَ قِيَمٌ تَسْهَلُ مُلَاحَظَتِهَا، وَالتَّحَقُّقِ مِن تَحقِيقِهَا فِي الوَاقِعِ، وَكيْفِيَّاتِ تَطْبِيْقِهَا، وَمِن هَذِهِ القِيَمِ: الوحدة والنظام والصدق والامانة والتقوى والاستقامة" (الدريدي، ٢٠١١م، صفحة ٢٧٨). وَهَذِهِ القِيَمُ يَسْتَدْعِيْهَا المُحَاجِجُ فِي نِتَاجِهِ بِوَصْفِهَا قِيَمَاً قَدْ يَدَّعِيْهَا أيُّ طَرَفٍ لِنَفْسِهِ، فَيَعْمِدُ الآخر على دَحْضِهَا.

وَتُعَدُّ القيم من أهم منطلقات الحِجَاج فهي: "عَنَاصُرٌ حِجَاجِيَّةٌ، وَأُسُسٌ إِقْنَاعِيَّةٌ تُعَبِّرُ عَنْ مَوْقِفٍ إتجاه الوُجُوْدِ وَالكَائِنِ على السَّوَاءِ (مدقن، ٢٠١٣م.، صفحة ١٨٠). وَالحُجَجُ القِيَمِيَّةُ تَدُوْرُ فيمَا يَنْبَغِي أَنْ يُفَعَلَ ،وَمَا لا يَنْبَغِي أَنْ يُفَعَل، وَبِهَذَا تَصْبَحُ نَافِذَةُ التَّوَاصُلِ الحِجَاجِي مُتَاحَةً بَينَ مُقدِّمِ الحِجَاجِ وَمُتَلَقِّيْهِ. وَتَبْرِزُ أَهَمِّيَتَهَا بِوَصْفِهَا تَعْبِيْرَاً عَنْ "مَوْاقِفِنَا المُوَجَّهَةَ لِلْوَاقِعِ، إِنَّ لَهَا حياةً مُكثّفَةً، وَطَابِعَاً وَاسِعَاً، يجعلهَا كونيّة" (بلنجر، ٢٠١٠، صفحة (٢ / ٤١٤).). ويُمْكِنُ أَنْ نُلَخِّصَ مُكَوِّنَاتِ القِيَمِ فِي ثَلَاثَةِ مَحَاوِرٍ: المِحْوَرُ الوجداني وَالمِحْوَرُ السُّلُوْكِي، وَالمِحْوَرُ المَعْرِفِي .

مشكلة البحث:

تُعد نظرية المُساءلة والمعنى من نظريات الحِجَاج التي أسهمت في انعطافة مُهمَّة في خارطة البلاغة الجديدة فقد اعتمدت الإشكالية والتساؤل بوصفه السبيل الى اكتساب المعرفة والوصول الى الحقيقة، غير أنَّ هذه النظرية لم تحضَ بمثيلاتهَا من نظريات الحِجَاج بالاهتِمام والتنقيب عنها ودراستها، سوى مُحاولات خجولة من قبل بعض الأكاديميين لم تتعدَ التنظير للنظرية، فكانت مشكلة هذا البحث نُدرة الدراسات الحِجَاجية التي تناولت هذه النظرية على مستوى التطبيق ، فضلاً عن عزوف كثير من مُترجمينا وباحثينا عن ترجمة متن النظرية لهذا يواجه البحث نُدرة المصادر عنها.

أهمية البحث :

نحاول في هذا البحث الكشف عن مفصل مهم من نظرية المُساءلة والمعنى ،ورفع النقاب عن عَمَّا خفي عنها ولاسيَّما عن الإيتوس بوصفها الجانب الأخلاقي لمنتج الخِطَاب الإبداعي ؛لأنَّهُ يُمثِّل بُعداً إقنَاعيّاً وتواصُليّاً

مَع المُتلقي وهو من الحُجج التي يصنعها المُبدع عبر رصيد أخلاقي طِوال مسيرته بين الناس بوصفه هُويَّته التي تَميَّزَ وُعرِف بها بين الآخرين تمُرُّ بين الجانب السلوكي والمعرفي والحِكَمي .

أهداف البحث :

يتعذر الولوج في مَيْدَان البلاغة بمعزل عن النتَاج الإبداعي الذي يتم تشييده على ضوء أوليَّات تُسهم في التواصل مع المتلقي، وكان لنظرية ميشيل ماير لحظتين الأولى ثنائية السؤال والجواب، ولحظة الأخلاق التي تُؤمّن الوجه الانفعالي وما فيه من قصد عفوي وجاهز، مِمَّا يُفضِي إلى تَمَثّل الوجهِ التأثيري والإقناعي عبر دلالات لوظيفة عقلية التي ركَّزَت على نسق بناء الفكرة ووظيفة معرفية ارتبطت بأهمية المعلومات التي تم الوصول إليها، ووظيفة إمتاعية ؛ لإشعار المتلقي بنوع من اللذة والإحساس بالشيء احساساً تامَّاً .

مَحاور البحث الثلاثة :

أولاً : المِحْوَرُ الوجداني: يُرَكِّزُ هَذَا المِحْوَرُ عَلَى المَشَاعِر وَالأَحَاسِيْسِ الذَّاتِيَّةِ لِلْإِنْسَانِ إِزَاءَ قِيْمٍ دُوْنَ غَيْرِهَا، وَفِي هَذَا يَظْهَرُ اسْتُعَدُّادُ الفَرْدِ بِالتَّمَسُّكِ بِالقِيْمَةِ العَاطِفِيَّةِ التِي تُسْهِمُ مُسَاهَمَةً وَاضِحَةً فِي الخِطَابِ الشِّعْرِي "فَوَرَاءُ كُلِّ عَاطِفَةٍ أَحْكَامٌ وَمُعتقداتٌ، عَلَيْهَا يَنْصَبُّ الفِعْلُ الحِجَاجِي (عبيد، ٢٠١١م، صفحة ٢٤٤ .)" .

مِمَّا يُنتِجُ فِعْلاً إقنَاعِيّاً ،يَنْسَكِبُ لِمَصْلَحَةِ قَضِيَّةِ المُتَكَلِّمِ التِي يَحْرِصُ عَلَيْهَا، وَيَذُوْدُ عَنْهَا، حَيْثُ يُهَيِّئ السَّامِعَ تَهْيِئَةً نَفْسِيَّةً مُناسِبَةً، وَهُنَا تَتَحوَّلُ العَوَاطِف إِلَى قُوَّةٍ فَعَّالَةٍ، وَثَمَرَةِ تَفْكِيْرٍ عَقْلِيٍّ وَنَشَاطٍ ذِهْنِيٍّ يُنْجِزُهُ المُتَكَلِّمُ ،غَيْرَ أَنَّ العَوَاطِفَ إِذَا مَا حَضَرَتْ لا يَعْنِي أَنَّ المُتلقِّيَ سَيُغيِّبُ عَقلَهُ ؛بل قَد يَهْتَمُّ بِالبَحْثِ عَنْ صِدْقِ دَعْوَى المُتَكَلِّمُ وَالسَّعِي إلى إثبات دَعْوَاهُ مِنْ عَدَمِهَا.

تَأْتِي هَذِهِ القِيَمُ جَرَّاءَ الرَّصِيْدِ المَعْرِفِي لِثَقَافَاتِ الأُمَمِ وَالشُّعُوْبِ على اختِلاف مشاربِهَا، وَتُعَدُّ قُطب الحِجَاجِ "وَنَسْتَنِد عَلَيْهَا لكي نَحْمِلَ المُخاطب على القيام بأفعال معُيّنَة بدل أخرى، كما أننا نستدعيها خصوصاً من أجل تبرير تلك الأفعال بطريقة تجعل هذه الافعال التي دعونا إليهَا مقبولة ومؤيَّدة من طرف الآخرين.. فبالقيم نستطيع تشكيل الحقيقة المطلوبة على الوجه الذي يريده المبدع(المُحاجج)، هذا في الوقت الذي تظل فيه هذه القيم مُحافظة على نصاعتِهَا بعد الاستخدام مما يجعلها صالحة للاستعمال في مقامات أخرى (قادا ، ٢٠١٦، صفحة ١٦٣)"وَمُشَغِّل مُهِمٌ وذلك ؛"إنَّ القيمَ عَلَيْهَا مدار الحِجَاج بكل ضروبه" (صمُّود،، صفحة ٣١٠).ولهذه القِيَمُ عَلَاقَةٌ بِالتَّفْكِيْرِ؛ لأنَّهَا تُشير إلى اكتِساب قدرات فِكريِّة والتزامٌ بعض المبادئ، وهذه القيم توفِّر قابليات مُعيَّنة لِمُراجعة قناعات فكريّة تؤدِّي إلى اتِّخاذ قرارات تُسهِم في تحديد مسار العملية الحِجَاجيِّة. وعلى ما يبدو أنَّ طَرفي الحِجَج

يسعيان إلى استِثْمَار القيم والحُرص على نقلِهَا من التنظير الخِطَابي العام إلى تجربة الفعل الإقْنَاعي، وهذا الفعل يكون مُثمِراً ومؤثِّراً كُلَّمَا تحققت علاقته بهذه القيم ، ولِهَذا قد يعمل طرفي الخصومة على سحب البساط من تحت خصمه ؛ بل تجريده مِنهَا ،بعد تثبيتها لنفسه. يَقُوْلُ عَبْدُ اللهِ بنِ المُعْتَز: (الخفيف)

يَا حَبِيبَاً سَلَا وَلَمْ أَسلُ عَنْهُ أَنتَ تَسْتَحْسِنُ الوَفَاءَ فَكُنْهُ

خَجِلَ الوَرْدُ إِذْ رَأَى وَجْهَ مَنْ أَهْوَاهُ وَالجُلَّنَارُ (زهرة حمراء)أَخجَلُ مِنْهُ (ابن المعتز، صفحة ٤٢٣)

يَتَشَكَّلُ المَقْطَعُ الشِّعْرِي بِمُسْتَوَيِيْنِ مِنَ الحِجَاجِ، فَالشَّاعِرُ يَحْتَجُّ عَلَى حَبِيْبَتِهِ بِأَلَّا تُفَارِقَهُ، وَأَلَّا تَنْسَاهُ؛ لأَنَّهُ لَمْ يَهْجِرْهَا وَهِي أَوْلَى أَلَّا تَهْجُرْهُ؛ فِاسْتِحْسَانِهَا الوَفَاء، وَالمُسْتَوَى الآخر، يَحْتَجُّ بِمُسْتَوَى اسْتِعَارِي ،فَالخَجَلُ دَلَالَةُ الحَيَاءِ يَتَرَتَّبُ عَلَى إِثْرِهِ احْمِرَارُ الوَجْنَتَيْنِ ،وَهُوَ صِفَةٌ مُفَارِقَةٌ وَلَيْسَتْ مُلَازِمَةٌ ،أَي يَذْهَبُ الاحْمِرَارُ النَّاتِجَ بِسَبَبِ الإِحْسَاسِ بِالخَجَلِ بِزَوَالِ سَبَبِ هَذَا الإِحْسَاسِ؛ فَلِهَذَا استَعَانَ الشَّاعِرُ بِالوَرْدِ الذِي يَمْتَازُ بِالرِّقَّةِ وَالتَّرَفِ ،وَلَمْ يَكْتَفِ بِذَلِكَ؛ بل اسْتَعَارَ الجُلَّنَارَ وَهُوَ نَوْعٌ مِنْ أَنْوَاعِ الزُّهُوْرِ (لَوْنُهُ أَحْمَرٌ) كِنَايَةٌ عَنِ الخَجَلِ، بِمَعْنَى حَوَّلَ الصِّفَةَ المُفَارِقَةَ إِلَى صِفَةٍ مُلَازِمَةٍ، عِبْرَ الاسْتِعَارَةِ المَكْنِيَّةِ، التِي لَهَا القُدْرَةُ عَلَى التَّقْرِيْبِ بَيْنَ جِهَتَيْنِ مُخْتَلِفَتَيْنِ مَعَ مُحَاوَلَةِ الغَاءِ الفَارِقِ وَإِيْجَادِ مُشْتَرَكٍ رَئِيْسِي بَيْنَ الطَّرَفَيْنِ ،فَحَمِلَتْ مُعْطَىً نَفْسِيَّاً عَفَوِيَّاً، لا تَكَلُّفَ فِيهِ، فَحَشَّدَ صِفَةً تُخَاطِبُ الوِجْدَانَ، وَتَأْخُذُ القَلْبَ وَتَأْسِرُهُ حَيْثُ الصُّوْرَةِ المَشْهَدِيَّةِ ،لِمَا لَهَا مِنْ أَسْرِ الإِحْسَاسِ بِمَا أَسْعَفَتْهُ الطَّبِيْعَةَ ،فَلَا يَتْرُكَ لِمُعْتَرِضٍ فُرْصَةَ الاِعْتِرَاضِ، فَاعْتِمَادُ الشَّاعِرُ عَلَى قِيْمَةِ الجَمَالِ يُقْنِعُ المُتَلَقِّي الذِي لا يَخْتَلِفُ عَلَى قِيْمَةِ الوِجْدَانِ الذِي تَسْهُلُ مُهِمَّةَ الفِعْلِ الحِجَاجِي.

عبد الله بن موسى الهادي (ت ٢٢٠هـ): (مجزوء الرجز)

وَشَادِنٍ مَرَّ بِنَا يَجْرَحُ بِاللَّحْظِ المُقَلْ

مَظْلُومُ خُصْرٍ ظَالِمٌ مِنهُ إِذَا يَمْشِي الكَفَلْ

اعْتَدَلْتْ قَامَتُه وَاللَّحْظُ مِنْهُ مَا عَدَلْ

بَدْرٌ تَرَاه أَبَدَاً طَالِعِ سَعْدٍ مَا أَفَلْ

سَأَلْتُهُ عَنْ اسْمِهِ فَقَال اسْمِي لا تَسَلْ

وَطَلَعَتْ مِنْ وَجْنَتَيْهِ وَرْدَتَانِ مِنْ خَجَلْ

فَقُـلْتُ مَـا أَخْـطـأ الذِي سَـمَّـاكَ بَـل نـالَ المَـثَـلْ

لا تَـسْـأَلَـنْ عَنْ شَـادِنٍ فَـاقَ جَـمَـالاً وَكَـمَـلْ (الصولي (ت٣٣٥هـ)،، ١٩٣٦م، صفحة ٨٦)

يَرْسِمُ الشَّاعِرُ لَوْحَةً شِعْرِيَّةً عَنْ مَدَى اِعْجَابِهِ لِخَادِمٍ اسْمُهُ(لا تسَل)، وَيَسْتَهِلُّ المَقْطَعُ الشِّعْرِي بِاسْتِعَارَةٍ تَصْرِيْحِيَّةٍ فَقَد صَرَّحَ باللفْظِ المُسْتَعَار(شَادِن) يُصَوِّرَ(لا تَسَل) الخَادِمَ تَصْوِيْرَاً حِسْيَّاً، حَرَصَ الشَّاعِرُ عَلَى تَفْصِيْلِ الكَلَامِ فِي جَمَالِ المَوْصُوْفِ فَقَد اعْتَمَدَ الأَفْعَالَ الآتيةَ:(مَرَّ، ويَجْـرَحُ ،ويَـمْشِـي ،واعْـتَدِلُّـتْ ،ومَا عَدَلْ ،وأَفَـلْ ،وتَـرَاه ،وسَألْـتُهُ طَـلَـعَـتْ، و فَقُلْتُ، ونـالَ، وفَـاقَ ،ولا تَـسْـأَلَـنْ، وأَخْـطـأ، وسَمَّـاكَ ،وفَـقَـال)، التِي رَصَدَ بَهَا حَرَكَةَ مَمْدُوْحَهُ (لا تَسَل)،وَرَسَمَ تَضَارِيسَ جَسَدِهِ مِنْ مِشْيَةِ الكَفَل، وَاعْتِدَالِ القَامَةِ، وَحَرَكَةِ العَيْنِ وَكُلُّهَا تُوْحِي بِمُسْتَوَى التَّرَفِ وَطُغْيَانِ الأُنوثَةِ عَلَى هَذَا الخَادِم التِي يَبْدُو أَنَّهَا قَد أَدْهَشَت الشاعرُ الذِي تُثِيرُهُ هَذِهِ المُثِيْرَاتِ التِي تَجِدُهَا عِنْدَ بِيُوتَاتِ أَوْلَادِ الخُلَفَاءِ العَبَّاسِيِيْنَ وَأَوْلَادَهُمْ .

ويَسْتَعِيْنُ عبر حِواريةٍ سَجَّلَ بِهَا استعارة مكنية(وَطَـلَـعَـتْ مِنْ وَجْـنَـتَيْهِ وَرْدَتَـــانِ مِـنْ خَـجَـلْ) فالحديقة(المُشَبَّه بِهِ) مَحْذُوف وجَاء بالمُشَبَّه(وجنتيه)، فَوَفَّرَت هَذِهِ الصُّوْرَةُ عَلَاقَةً بَلَاغِيَّةً كَشَفَتْ عَن دِقَّةِ تَرْكِيْزِ الشَّاعِرِ عَلَى مَلَامِحَ مَمْدُوْحِهِ الوِجْدَانِيِّةِ الحِسِّيَّةِ يَتَلَمَّسُهَا المُتَلَقِّي كَصُوْرَةٍ مَشْهَدِيَّةٍ وَصَلَتْ إِلَى إِشْرَاكِ اسم هذَا الخَادِمِ كَمَعْنَى بِمُوَاصفَاتِهِ، فَصَارَ مَثَلَاً بَيِّنَاً وَاضِحَاً دَالَّاً عَلَى مُسَمَّاه، لِكُلِّ مَنْ لَم يَرَهُ سَيَتَحَقَّقُ مِن هَذَا الوَصْفِ بأَنَّهُ قَد وَصَلَ إِلَى دَرَجَةِ التَّفَوُّقِ والكَمَال، فَكَأَنَّهُ يقول (لا تَسَلْ عَنْ لا تَسَلْ)، إِنَّ مُبَالَغَةَ الشَّاعِرِ فِي تَصْوِيْرِ مَحَاسِنَ هَذَا الغُلَامِ يَحْمِلُ مَدَى الرَّغْبَةِ فِي تسويغ هَذَا السُّلُوْكِ الذِي قَد يَتَعَرَّضُ الشَّاعِرُ إِلَى انْتِقَادٍ وَتَوْبِيْخٍ مِن الآخرِيْنَ هُنَا يُحَاوِلُ أَنْ يُوَظِّفَ المِحْوَرَ الوِجْدَانِي وُصُوْلَاً إِلَى التَّأْثِيْرِ عَلَى المُتَلَقِّي، غَيْرَ أَنَّ هَذَا النَّوْعِ مِنَ الشِّعْرِ يَكْشِفُ مُسْتَوَى الوَاقِعِ الأَخْلَاقِي فِي البَلَاطِ العَبَّاسِي الذِي وَصَلَ إِلَى ثَقَافَةٍ بَعِيْدَةٍ كُلَّ البُعْدِ عَن الشِّعَارَاتِ التِي رَفَعُوْهَا لِلسَيْطَرَةِ عَلَى شؤُوْن البِلَادِ وَالعِبَاد.

يَقُوْلُ أَبُو الطُّفيل : (الطويل)

رَأَتْنِي فقَـالتْ: أَنـتَ شَيْـخٌ، وإِنَّـمـا يَرُوقُ الغَوانِي مُجْدِبُ الخَـدِّ خَالِـعُ

لَكِ الخَـيْرُ لَوْ أَبْصَـرْتِنِي يَـوْمَ مَأْزِقٍ وَقَدْ لَمَعَـتْ فِيْهِ السُّيوفُ القَـواطِـعُ

وَعِنْدَ النَّدَى، نَاهِيْـكَ بِي مِـنْ أَخِـي النَّدَى وَعِنْدَ حِجَاجِ القَوْمِ قَوْلِي قَاطِعُ

يُعَدُّونَنِي شَيْـخَاً وَقَدْ عِـشْتُ حِـقْـبَـةً وَهُنَّ عَنِ الأَزْواجِ نَـحْـوي نَـوَازِعُ

وَمَـا شَابَ رَأْسِي مِن سِنِيـنَ تَتَابَعَتْ عـلـيَّ، ولكـنْ شَيَّبـتْنِي الـوقَـائِـعُ

وَمَا قَـصَّـرَتْ بِي هِمَّتِي دُونَ بُغْيَتِي وَلا دَنَّسَتْـنِـي منذُ كـنـتُ المَـطامِـعُ (البصري (ت ٦٥٦هـ)، ١٩٩٩م، صفحة ١٠٦)

عَبَّرَ الشَّاعِرُ فِي حِوَارِيَةٍ عَنْ أَحَاسِيْسِهِ الذَّاتِيَّةِ تَعْبِيْرَاً مُبَاشِرَاً عَنْ رؤيَتِهِ وَتَصَوِّرَاتِهِ وَآلَامِهِ المَمْزُوْجَةِ بِمَرَارَةٍ وَأَلَمٍ؛ بِسَبَبِ حِوَارٍ مَع فَتَاةٍ وَصَفَتْهُ بِالشَّيْخِ وَأَنَّ مَا يَروْقُ النِّسَاءُ الشَّابَ المُمْتَلِئُ حَيَوِيَّةً، فَجَاءَ خِطَابُهُ الشِّعْرِي كَاشِفَاً عَنْ وِجْهَةِ نَظَرٍ مُغَايِرَةٍ عَن فِكْرَةِ الفَتَاةِ، عِبْرَ سِلْسِلَةٍ مِن الحُجَجِ المُتَرَابِطَةِ وَاخْتَارَ ثَلَاثَةَ مَحَاوِرَ بَدَأَهَا فِي الحَرْبِ حَيْثُ النِّزَال وَلَمَعَانِ السُّيُوْفِ الذِي لا يَكُوْنُ إِلَّا فِي اللَّيْلِ، وَهَكَذَا قِتَالٌ يَحْتَاجُ إِلَى قُوَّةٍ بَدَنِيَّةٍ قَدْ لَا تَتَوَافَرُ عِنْدَ الشَّبَابِ، وَالمِحْوَرُ الثَّانِي سَاحَتُهُ السَّخَاءُ وَالكَرَمِ وَهَذِهِ صِفَةٌ يَحْتَاجُ مَعَهَا إِلَى الشَّجَاعَةِ النَّفْسِيَّةِ ،وَالمِحْوَرُ الثَّالِثُ هُوَ الخِطَابُ وَقُوَّةُ البَيَانِ وَالقُدْرَةِ عَلَى هَزِيْمَةِ الخَصْمِ بَالحُجَّةِ وَالقَوْلُ الفَصْلِ.

هَذِهِ الحُجَجُ الثَّلَاثَةُ يُقَابِلُهَا ثَلَاثَةُ مُسْتَوَيَاتٍ وَهِيَ عَيْشِهِ الحُقَبِ، وَشَيْبَةُ رَأْسِهِ نَتِيْجَةُ الوَقَائِعِ والحُرُوْبِ ،وَهِمَّتِهِ العَالِيةِ ،كَانَ لِلزَمَن حُضُوْرُهُ الفَعَّالِ فِي حَيَاةِ الشَّاعِرِ فَزَادَهُ ثَرَاءً وَخِبْرَةً وَدِرَايَةً.

وَاعْتَمَدَ الشَّاعِرُ بِحُجَجِهِ عَلَى تَجْرِبَتِهِ فِي فُصُوْلِهَا الثَّلَاثَةِ عَلَى حِسِّهِ الوِجْدَانِي الذِي أَعْلَنَ الشَّاعِرُ عَنْ ذَاتِهِ مُبَاشَرَةً رَدَّاً عَلَى مُحَاوَلَةِ الفَتَاة التِي سَعَتْ إِلَى تَغْيِيْبِ ذَاتِ الشَّاعِر، فَأَسْهَمَتْ العَلَّاقَاتِ الحِجَاجِيَّةِ فِي رَسْمِ مَنَاخٍ إِقْنَاعِي وَرَدِّ حُجَّةِ الفَتَاةِ ،لِمَا يَمْتَلِكُ مُنْتِجُ الخِطَابِ مِنْ قُدْرَةٍ عَلَى تَطْوِعِ مَسَاحةٍ ضَيِّقَةٍ مِنَ البَيَانِ وَاسْتَطَاعَ بِستَّةِ أَبْيَاتٍ أَنْ يَخْتَزِلَ تَجْرِبَتَهُ التِي تَمْتَدُّ إِلَى حُقَبٍ مِنَ الزَّمَانِ.

فَالشَّاعِرُ حَوَّلَ المَسَارَ السَّمْعِي (يَرُوقُ الغَوانِي مُجْدِبُ الخَدِّ خَالِعُ) إِلَى مَسَارٍ بَصَرِيٍّ؛ لأَنَّ الشَّاعِرَ عَمِلَ عَلَى تَبْوِيْبِ كَلِمَاتِهِ بِتَرْتِيْبٍ مَشْهَدِي اسْتَطَاعَ أَنْ يَتْرُكَ التَّأْثِيْرَ فِي نَفْسِ المُتَلَقِّي فَقَد حَوَلَ خِطَابَهُ الوِجْدَانِي مِنْ أَدَاةِ نَقْلٍ إِلَى أَدَاةِ اتِّصَالٍ واشْتِرَاكٍ مَعَ المُتَلَقِّي لِيَتَجَاوَبَ مَعَهُ تأَثُّرَاً وَتَأْثِيْرَاً.

يقول أبو صخر الهُذَلِيّ (الطويل)

لِلَيْلَى بِذاتِ الجيشِ دارٌ عَـرَفْتُهَا وَأُخْرَى بِذَاتِ البَيْنِ آيَاتُـهَـا سَطْـرُ

كَـأَنَّـهـمَا مِـــلآنِ لَـمَ يَتَـغَيَّـرَا وَقَد مَرَّ لِلدَارَيْنِ مِنْ عَهْدِنَا عَصْرُ

وَقَفْـــتُ بِرَبْعَيْهَـــا فَعَيَّ جَوَابُهَا فَقُلْتُ وَعَـيْنِي دَمْعُهَا سَرَبٌ هَمْرُ:

أَلَا أَيُّهَا الرَّكْبُ المُخِبُّون، هَلْ لَكُمْ بِسَاكِنِ أجزاعِ الحِمَى بَعْدَنَا خُبْرُ

فَقَالُوْا: طَوَيْنَا ذَاكَ لَيْلاً وَإِنْ يَكُنْ بِهِ بَعْضُ مَنْ تَهْوَى فَمَا شَعَرَ السَّفْرُ

أَمَـا وَالذِي أَبكَى وَأَضـحَكَ وَالذِي أَمَـاتَ وَاحْيَا وَالـذِي أَمْـرُهُ الأَمــرُ

لَقَدْ كُنْتُ آتِيهَا وَفِي النَّفْسِ هَجْرُهَا بَتَاتاً لِأُخرَى الدهرِ مَا طَلَعَ الفَجرُ

فَـمَـا هُـو إِلَّا أنْ أرَاهَا فُـجْـاءةً فَـأَبْهَـتُ لا عُـرْفٌ لَـدَيَّ وَلَا نُـكْرُ

وَأَنسَى الذِي قَد كنتُ فيهِ هَجَرْتُهَا كَمَا قَد تُنَسَّى لُبَّ شارِبِها الخَمْرُ

وَمَا تَرَكَتْ لي مِنْ شَذَى أهتدِي بِهِ ولا ضِلْعَ إِلَّا وَفِي عَظْمِهَا كَسْرُ

وَقَد تَرَكَتْنِي أَغبِطُ الوَحْشَ أَن أَرَى قَرِينَــيْنِ مِنهَـا لم يفزُّعُهمَا نَفْرُ

وَيَمْنَعِنِي مِن بَعضِ إِنْكَارِ ظُلمِهَا إِذَا ظَلَمَتْ يَوْماً وَإِنْ كَانَ لِي عُذْرُ

مخافةَ أَنِّي قَدْ عَلِمْتُ لَئن بَدَا لِي الهَجْرُ مِنْهَا مَا عَلَى هَجْرِهَا صَبْرُ

وَأَنِّــي لا أَدْرِي إِذَا النَّفْسُ أَشْرَفَتْ عَلَى هَجْرِهَا مَا يَبْلَـغُنَّ بيَ الهَجْرُ

فَيَا هَجْرِ لَيْلَى قَدْ بَلَغْتَ بِيَ المَدَى وَزِدْتَ عَلَى مَا لَيْسَ يَبْلغُهُ الهَجْرُ

وَ يَا حُبُّهَـا زِدْنِي جَوَىً كُـلَّ لَيْلَةٍ وَ يَا سَلْوَةَ الأيامِ مَـوْعِدُكِ الحَشْرُ

هَجَرْتُكِ حَتَّى قيلَ ما يَعرِفُ الهَوَى وَزُرْتُكِ حَتَّى قيل: لَيــسَ لَهُ صَبْرُ

صَدَقْتِ أَنَّا الصَبُّ المُصَابُ الذِي بِهِ تَبَارِيــحُ حُبٍّ خَامَرَ القَلْبَ أو سِحْرُ

فَيَا حَبَّذَا الأَحْيَاءُ مَــا دُمْتِ حَيَّةً وَ يَا حَبَّذَا الأَمْوَاتُ مَا ضَمَّكِ القَبْرُ (محمد و البغدادي، ١٩٩٧م، صفحة ٢٥٨).

تَفْرِضُ التجربة الإنسانيِّة في موقفِ ذِكر الحَبيبَةِ أنْ يَمُرَّ على ديارها(ذات الجيش، و ذات البين)، وهذا المَنحَى قد شابه غيره من الشعراء؛ وذلك أَنَّ المواقف الإنسانيِّة ترتبطُ بعضها ببعض ارتباطاً وثيقاً ،غير أَنَّ الشاعر في أثناء قصيدته يُخفِّفَ من التركيز بالوقوف على بقايا ديار حبيبته، ولَعَلَّ ذلك يعود إلى أَنَّ الموقف ليس معه ،بل مع غيره من المارينَ الذين لا يكترثون كثيراً بالمكان ولاسيَّمَا حينما يكون مرورهم ليلاً.

لِلَيْلَى بِذاتِ الجــيشِ دارٌ عَــرَفْتُهَا وَأُخْرَى بِذَاتِ البَيْنِ آيَاتُـهَـا سَطْــرُ

كَـأَنَّهـمَـــا مِـــــلآنِ لـَم يَتَـغَيَّـرَا وَقَد مَرَّ لِلدَارَيْنِ مِنْ عَهْدِنَا عَصْــرُ

وَبعدَ أن يتذكَّرَ الشاعر يَصِلُ إلى دَرَجةِ اليَأسِ وعدم الحصول على شيء مِمَّا قد مَضى، يَتَصبَّرُ ويلوذ بالبُكاء((فَقُلْتُ وَعَيْنِي دَمْـعُهَـا سَرَبٌ هَمْرُ))؛ لأنَّ الدموع دَليلٌ بَيِّنٌ على صدق مشاعره، ولا يكتفي بوقوفه على ديار حبيبته فيُسرعَ ليسأل الذين يمرون بديارها:

ألا أيُّها الركب المُخِبُّونَ هل لكم بساكن أجزاع الحمى بعدنا خبرُ؟

فقالوا طوينا ذاك ليلاً وإن يكنْ به بعض مَنْ تهوى فما شعر السفر

وفي هذا المقطع عَبَّرَ بأسلوب مُغاير عَمَّا سَبَقه الشعراء من الوقوف على الأطلال وبقايا دُور الأحبَّة، بل رَكَّزَ على من سَكنَ مُنعطفَ الوادي(أجزاع الحمى) أي انصَّبَ اهتِمَامَهُ على ذِكر حبيبتهِ، ولم يَكترِثْ بالمَكَانِ، فقد كان مُرور الرّكْبُ عليه سريعَاً (المخبُّون) وهو على خِلاف من سبقه من الشعراء، فضلاً عن ذلك أَنَّ المرور على المكان كان وقت الليل، وهُنا لا يتسنَّى رؤية المكان بدقة ووضوح، ولَعَلَّ هذا مقصود من قِبَلِ الشاعر؛ لأَنَّهُ لا يكترِث إلَّا بِمن رَحَل عن الموضع، ولَعَلَّ وجود اسم الإشارة (ذاك) تُفيدُ البعد عن الحدث مكاناً و زماناً ،وقد رسم الشاعر بذلك مناخَاً حضاريِّاً بعيدَاً عن حياة البداوة، عِبرَ استِدعَاء المَاضِي؛ لِيستَعِيدَ تلك اللحظات الحزينة المُتَوَهِّجَةِ التِي تجنّت حبيبته فيها عليه.

أَمَا وَالذِي أَبْكَى وَأَضْحَكَ وَالذِي أَمَاتَ وَأَحْيَا وَالذِي أَمْرُهُ الأَمْرُ

يُمسِكُ الشاعر بِزمَام الأفعال (أَبْكَى، وَأَضْحَكَ، و أَمَاتَ، و وَأَحْيَا) وجعلها أفعالاً كأنَّها حَدَثت في زَمَنٍ واحد، فَتَضَادهَا يُوحي إلى تَداعِي وَصلَ إلى درجةِ الحِيرةِ والاسْتِسلامِ، فلم يُعَدُّ أَمَامَه أيُّ خَيَارٍ، أو قُدرةٍ على اتِّخَاذِ

القرار، وهذا واضِحٌ بقوله:(أَمْرُهُ الأَمْرُ)، وقد استعانَ باسم الموصول(الذي) ثلاث مرَّات مع حرف العطف(الواو)، الذي يربط تسلسل الأحداث وصولَهَا إلى نهاية مليئة باليأس والاحباط.

غيرَ أَنَّهُ مَا أَنْ يَرَاهَا حتى يَنسى أسباب هجرتُهُ لَهَا ويقول:

فمـــــا هـــو إلاّ أن أراها فـجاءة فأبهـت لا عـــرفٌ لديّ ولا نكرُ

وأنسى الذي قد كنتُ فيه هجرتها كما قد تنسّي لبَّ شاربها الخمرُ

وهنا يُصوِّرُ الشَّاعِر حالةَ الجَذْبِ والسِّحرِ، وفُقدَانِ السيطرة أمام محبوبتهِ، وكأنَّهُ يقابل بينَ الشخصِ الثَّمِلِ جَرَّاء الخَمرةِ، ومَا بين ثَمَلِهِ العَاطِفِي غَيرَ أَنَّ الفَرقَ بينَ الصورتين أَنَّ ثَمَلَهُ العَاطِفِي أَدَّى بِهِ إلى الضَّيَاعِ؛ لأنَّهَا لم يكن له هُدَى يَهْتَدِي بِهِ، فَوَصَلَ بِهِ الحَال أنْ يغبطَ كُلَّ مُتآلِفِينَ من الموجودات وَلَو كَانَا وَحْشيْن، ويقول:

وقد تركتني أغبط الوحش أن أرى قرينين منها لم يُفَزِّعهمَا نفرُ

وهُنا يُصوِّرُ حَالتُهُ النفسيِّة التي صَوَّرَهَا بعبارة(لم يَفَزِّعهُمَا)، التي تُناسِبُ حالة الخوف والمُفَاجَأَةِ مَعَ مَناخ الخِطَاب الشعري تُصوِّرُ حَالة الفَزَع والقَلق التي تُساوِرهُ ولِهذَا أوردها مع تشديد (الزَّاي) تأكيدَاً على إحساسِهِ بِهذَا الانهيار النفسي والفزع الذي رافقه طوال قصيدتِهِ.

ويستمر بقضيتهِ فهو لا يستطيع أن يُنكِرَ على محبوبتهِ ظُلمَها، فهو يُفضِّلُ ظُلمَها ووصلِهَا، على هجرِهَا ومن دون ظُلمٍ، فهو يعترِف أن لا صبرَ ولا طاقة له على الهجر من دونها، فأهم شيء هو مثولها أمامه وهي ظالمة؛ لأنَّ هَجرهَا هو الموت المُحَقَّق، وهنا يعطي حُجَّة لتقوية موقفه أمام من ينتقده على هذا الهِيام، ويُسَوِّغ لنفسه هذا التَّعَلُّق بمحبوبتهِ:

وَيَمْنَعِنِي مِن بَعضِ إنْكَارِ ظُلمِهَا إذَا ظَلَمَتْ يَوْمَاً وَإنْ كَانَ لِي عُذْرُ

مخافةَ أنِّي قَدْ عَلِمْتُ لَئن بَدَا لِي الهَجْرُ مِنْهَا مَا عَلَى هَجْرِهَا صَبْرُ

وَأَنِّي لا أَدْرِي إذَا النَّفْسُ أَشْرَفَتْ عَلَى هَجْرِهَا مَا يَبْلَغُنَّ بيَ الهَجْرُ

ويظهر حرص الشاعر على محبوبته، وتعلُّقِهِ بِهَا؛ مِمَّا يجعله لا يذكرها مباشرةً ،بل يذكر (هجرها، وحبِّهَا) ،وهذا دليل على رهافة حسِّهِ، وهمسه الخفي:

فَيَا هَجْرِ لَيْلَى قَدْ بَلَغْتَ بِيَ المَدَى وَزِدْتَ عَلَى مَا لَيْسَ يَبْلغُهُ الهَجْرُ

وَ يَا حُبُّهَا زِدْنِي جَوَىً كُـــلَّ لَيْلَةٍ وَ يَا سَــلْوَةَ الأيامِ مَوْعِدُكِ الحَشْرُ

حتَّى يصِلُ بِهِ المَطَاف إلى الحيرةِ في سلوكهِ بين هجرها ووصلِهَا، ونظرةُ الآخرينَ لَهُ:

هَجَرْتُكِ حَتَّى قيلَ ما يَعرِفُ الهَوَى وَزُرْتُكِ حَتَّى قيل: لَيسَ لَهُ صَبْرُ

هذه الحيرة قادته إلى الاستِسلام والقضاء بأمرٍ لا مَفَرَّ مِنه

صَدَقْتِ أَنَّا الصَبُّ المُصَابُ الذِي بِهِ تَبَارِيحُ حُبٍّ خَامَر القَلْبَ أو سِحْرُ

وهنا يُخاطِبُها بضمير المُخاطَب ليقف الشاعر موقفاً يؤكِّدُ فيه ألمهُ الشديد لِحُبٍ زاده تَوَهُّجَاً و لَوْعَةً ،وهو مؤشر لموقف انفعالي اقترن بالاعتراف بالواقع والهزيمة أمام القدر:

فيا حبّذا الأحياء ما دمتِ حيّةً و يا حبّذا الأموات ما ضمّكِ القبرُ

قابل الشاعر في هذا البيت بين مثابتين كِلَاهُمَا نَقيضُ الآخر،(الأحياء، والأموات)و(ما دمتِ حيَّة)و (ما ضمّكِ القبرُ) وهذا يدل على أنَّ الأشياء قد تَسَاوت عِندَه، وتَحوَّلَت الأماني إلى بضائع راكدة، فلا المُستقبل يَتأَمَّله، ولا الماضي يستعين بهِ على مَا حَلَّ بِهِ، فبعدَ كُلَّ ما مَرَّ في القصيدة من حركة واضطراب وتدافع الأحداث، نجد أنَّ الشاعرَ قد أصابه الاستِسلام، فقد سيطر هاجس اليأس على انفعِالاتِهِ وتفكيرِهِ، فعلى طِوالِ القصيدة عاش الشاعر أحاسيسَ متوهِّجَةً، وكانت مُتأزِّمَة ووصفهَا لحظةً بلحظَةِ ، وجَاء النتاج الشعري مُحيطاً بكل هذه الانفعِالاتِ التي احالها إلى صور شعرية، غير أَنَّه لم يبتُعَدُّ عن الصورة الواقعية، بل كانت القصيدة نافذة مُطلَّة على الواقع وموحية إليه.

ثانياً :المِحْوَرُ السلوكي:

ويُعنَى بِالتَرجمةِ الفِعليِّةِ لِلقِيمَةِ عَن طريقِ رَصْدِ سُلُوكِيِّاتِ وأفعالِ وأداء نفس– حركي ،ولكي نضبط مفهوم القيم ونحدده ،يجب الإشارة إلى عناصر القيم السلوكية حتى نتمَكنُ من فَصلِهَا عن بَعضِ المَفاهِيمِ التِي قَد تَتدَاخَلُ مَعَها فِي كَثيرِ مِن الأَحيَانِ التِي " تكونُ فِي مَحلِ اتِّفاقٍ بينَ الجَميعِ مِمَّا يَسمحُ بإشراكِ الحَالاتِ الخَاصَّةِ التِي رُبَّمَا

لا يَحصِلُ إقنَاعهَا بِالمُنطلَقاتِ الأُخْرَى،((من ثِمَارِهِمْ تَعْرِفُونَهُمْ. هَلْ يَجْتَنُونَ مِنَ الشَّوْكِ عِنَبًا، أَوْ مِنَ الْحَسَكِ تِينًا؟)) (الكتاب المقدس العهدين القديم والجديد، ، ،، ٢٠١٣م، صفحة ١٦) ،بمعنى لأجلِ معرفة مدى جودة الشجرة وكمالها ينبغي أن نُلاحظَ ثمارها، فكلما كانت ثمارها نافعة نُدرك حينها مدى أهمية الشجرة وقيمتها، وَتكونُ القِيمُ نَافِعَةً فِي حَملِ النُّفوسِ على التَّأَثُّرِ لِمُقتَضَى القولِ نَظَراً لِمَا تَحُوزُهُ مِن قُدرةٍ على خِدمةِ الجَوانِبِ العَاطِفِيةِ وَالعَقليِّةِ مِن العَمَليِّةِ الحِجَاجيِّةِ ؛لأنَّهَا تَهِمُّ بِالأَسَاسِ إبرَازِ المُشترَكِ بينَ النَّاسِ وَالدَّفعِ بِهِ إلى وَاجِهةِ الأَشياءِ المَرغُوبةِ أو دَعمِ حُصولِ أفعَالٍ مَطلُوبةٍ بِالاستِنَادِ إلى حُجّيتِهَا في مُتَعَارف الأوسَاط (أَحمد، ٢٠١٦م، صفحة ٥٥٥) .وَتَتَعلَّقُ بالتَّصورِ الذِّهنِي وَالمَيلِ النَّفسِي نحوَ مَوضُوعٍ مَا يُوجِّهُ سُلوكِ الفَردِ العَام.

وَمِن مَظاهر اختِيارِ المُعطَيَاتِ التِي تَتَناسَبُ وَتتَلاءمُ مَع الحِجَاجِ اختيار الصفات، فهي تنهض بمهمّةٍ حِجَاجِيِّةٍ تَتَمثَّلُ بوصْفِهَا بَوصَلةً يُهتْدَى بِهَديهَا ،" فإسنَاد صفةٍ لموضوعٍ مَا يَكشِفُ عن مَوقِفٍ وَوِجهَةِ نَظَرٍ إزَاءه ،فَضْلاً عَن أَنَّه يُوجِّه نحوَ الحُكمِ المَطلُوب (عبد اللطيف، ٢٠١٣م، صفحة ٨٩)"؛ لأنَّهَا تكشِفُ عن وِجهَةِ نَظَرِ المُحَاجِج، وتُبيِّنُ مَوقِفُهُ من الشخصِ الذي انمازَ بهذهِ الصفةِ، غيرَ أنَّ المقصديِّةَ الحِجَاجيِّةَ مِن وَضعِ الشَّخصِ المَوصُوفِ فِي حَقلِ مَا مَعَ سَائر المُكوِّنَاتِ التي تُسهمُ فِي إبرازِ سلوكهِ، هو لِتَحْدِيدِ نَوعِ المَوقِفِ الذي يَنبغِي أن يحكمَ بِهِ عليه. وهِي بذلكَ تُوفِّرُ إطَارَاً مُهِمَّاً لِتَوجِيهِ سُلوكِ الأفرادِ وَالجَمَاعَاتِ وَتَنظِيمِه ،إذ تقومُ بِدورِ المُراقِبِ الدَّاخِلِي الذي يُرَاقِبُ أَفعَالَ الفَردِ وَتَصَرُّفَاتُه .فَالقِيمَةُ السُّلُوكِيِّةُ هِي مَا يَعتبرهُ الفَردُ مَهمَاً ،لَهَا قِيمَةٌ فِي حَيَاتِهِ، إذ تُمثِّلُ مُعتقَدَاتِ الفَردِ عن قُدَرَتِهِ على إيجَادِ مَعنى لِحَياتِهِ .ومَنَ النَّمَاذِجِ التي تُعَدُّ مثَابةً مَركَزِيِّة في السِّلوكِ السَّوِي بين النَّاس هو أمير المؤمنِينَ علي ابن أبي طالب(عليه السلام)، تقول السيدة عائشة بنت ابي بكر: (الوافر)

إذا مَـا التِبْرُ حُـكَّ عَـلَى محَـكٍّ تَـبَيَّنَ غِشُّـهُ مِـنْ غَـيْرِ شَـكِّ

وَفِيـنَا الغِـشُّ وَالـذَّهَبُ المُصَـفَّـى وَعَـلِيٌّ بَيْنَـنَا شِـبْـهُ المِـحَـكِّ(الزرندي و عاشور، ٢٠٠٤م، صفحة ١٣٣)

حينما ينماز الشخص بسلوكهِ المتفرد عن الآخرين بمؤهَّلَاتٍ ،يصبح مَثابَةً يُحتذَى بِها، ومِيزاناً يُحتكمُ بِهِ؛ لأنَّ السلوكَ الثري بالقيم الأخلاقية الذي مَثَّلَه الإمام علي ابن أبي طالب(عليه السلام) خير تَمثيل، فصار مُؤشِراً أساسِيِّاً لِلقِيمِ ؛ولهذَا وقعَ عليه الاختيار من دون غيره، انطِلاقَاً مِن قيمٍ تَبَنَّاهَا وَعَملَ على نشرِهَا، سلوكَاً وليس تنظيراً، ولا غرابة في ذلك فقد نشأَ في كنفِ سيد الكائنات، وخاتم الرسلاتِ، الذي قال الله تعالى بحقِّهِ: ((وَإِنَّكَ لَعَلَّى خُلُقٍ عَظِيمٍ)) (آية :٤ سورة: القلم.).

وقد كان مُلاصِقاً لصاحب هذا الخُلُق العظيم، وتَربَّى على يَدَيه (.صبحي، ٢٠٠٤م، صفحة ٣٠٠)واهتم بتحقيقها أكثر من غيره؛ ولهذا اسهم هذا السلوك القِيمِي في رسم تَصَوُّراتٍ مِن شأنها أنَّهَا أفضَت إلى أن يكونَ بسلوكه الاجتمَاعِي المُثمِر مَحَكَّاً، وميزَاناً في الحُكمِ على سلوك الآخرينَ (الواسطي المعروف ابن المغاز، ٢٠٠٣م، صفحة ١٢٣ .) فصار سلوكه يتمتعُ بالقوة الحِجَاجيِّة ، فهو مِرآةٌ صافية تتجلَّى الحقيقة بهِ واضِحَةً ،والتي على إثرهَا يُلزِمُ الآخرينَ بوجوب اتِّبَاعِهِ وجعلهِ مثابة لا يحولونَ عنهَا، فمنه تُغرس القيم الفاضلة، وبِهِ يتم. ومن خلاله يُكشف المعوج والمُنحرف والمُزَيَّف، ولهذا أكَّدت الرسالة السَّماوية على السلوك الأخلاقي المُهذَّب؛ لأنَّ الدين يقوم بوظيفة تهذيب السلوك وتحويله إلى سلوك إنساني وهي ميزة تنفرد بها الديانات ولا سيِّمَا ديننا الحنيف؛ ليرسُم الَعَلَّاقة السَّويَّةِ بين الانسان وَالمُجْتَمَعِ مِنْ حَوْلِهِ وَالارْتِقَاءِ بِسِلُوْكِ الفَرْدِ وَتَنْظِيْمِ تَكْوِيْنِهِ النَّفْسِي الدَّاخِلِي ولاسيَّمَا التَّركيزُ عَلَى المَثَابَاتِ المُهِمَّةِ التِي أرْسَتْ قَوَاعِدَ الدِّيْنِ الإسْلَامِي وَكَانَتْ مِصْدَاقَاً يُحْتَذَى بِهِ وَحَثُّ الآخريْنَ لِلْدِفَاعِ عَنْهُم وَالتَّمَسُّكِ بِهَدْيِهِم . ونرى أنَّ كثيرَ السُهمِي يقول : في تَحْديد قيمة أهل البيت(عَلَيْهِم السَّلَام)

لَعَـنَ اللّٰه مَـــنْ يَسُبَّ عَلَيّاً وَحُسَيْنَاً مِنْ سَوْقَةٍ وَإمَـامِ

أَيُـــسَبُّ المُطَـهَّرُوْنَ جُدُوْدَاً وَالكِرَامُ الأَخْـوَالِ وَالأعْـمَامِ

طِبْتَ بَيْتَاً وَطَابَ أَهْلُكَ أَهْلَاً أَهْـلُ بَيْتِ النَّبِيِّ وَالإسْـلَامِ

رَحْـمَةُ اللهِ وَالسَّلَامُ عَـلَيْهُمُ كُـلَّمَا قَـامَ قَـائِمٌ بِـــسَلَامِ (الجاحظ و هارون، ١٩٩٨م)

يظهر في هذا المقطع شيوعُ سلوكٍ شاذٍّ، وهو سبُّ الإمام علي(□) على الرغمِ مِمَّا مَرَّ ذِكره في الصفحات السابقة وتوضيح مكانته (□) بين النَّاس، غير أنَّ اعداءَهُ لم يرُقْ لَهُم ما وَصلَ إليه من مَكانةٍ سامِقةٍ، وَمثابةٍ مُهمَّة، فصار ديدنَهُم أن يعمِدوا إلى التَّقليلِ مِن شأنِهِ من خلال القذف والشتمِ، ولهذَأ انبرى هذا الشاعرُ ليرُدَّ على أصحابِ هذه المقولة، ويُحاجِجَهُم مُتسائِلَاً : (أيُسبُّ المُطَهرون جُدودَاً والكِرامُ الأخوالِ والأعمام)؛ وذلِكَ أنَّ السُّؤالِ يحمِلُ قضية حِجَاجيِّةً تدعو المُتلقي إلى تشغيل فكرهِ ،واستدراجِهِ حِينما يترك له فرصةَ الجواب على السُّؤالِ، فيتعجّبُ الشاعر من هذا السلوكِ الذي لا ينمُ على وعي من يقوم بِهِ، ويقوم بردِّ هذا السلوك ، فمن يمتاز بالطُهر والعِفَّة والنَّجَابة لجذورٍ ضاربةٍ في جميع إتجاهات الإنسان، لا يتناسب معه الشتم والسُبَاب، بل ما يُناسِبهُ التقديس والاحترام، فمقام الشاعر كان مقام وعظ وإرشاد ،ولهذا استعان الشاعر بالسُؤال؛ ليُدمِجَ المتلقي في السِّيَاق، ولا يسمح له بالحياديِّةِ ،بل يُشركه في الوصول إلى النتيجة وعياً ودراية. غير أنَّ سلوكَ الإنسان يختلف من شخص إلى آخر تَبعَاً لشئتهِ وتربيتهِ التي نهلَ مِنهَا يقول يزيد بن معاوية :

اسقِـني شُربَة تُرَوِّي مُشاشي ثُمَّ مِل فَاسِقِ مِثلَها اِبنَ زِيادِ

صاحِبَ السِرِّ وَالأَمانَةِ عِندي وَلِتَسدِيدِ مَغْـنَمِي وَجِهَــادِي (المسعودي (ت ٣٤٦هـ) و كمال، ٢٠٠٥م)

استعمل يزيد في هذا المقطع الشعري صيغةَ الأمر(اسقني، مِل) ؛لأنَّ خِطَابَهُ يحمل توجيهات وسلوكيات يُفترض أن تكون ارشادية بوصفه حاكِماً للمُسلِمينَ، غير أنَّ الحال هنا حمَل بُعدَاً مُغايرَاً ،فهنا يطلب من خادمِه أن يُسقيه خَمراً تصل إلى ارتواء عظامِهِ، ويُشرك نديمهُ ابن زياد الذي يصِفُه بالفاسق، ولا داعي الحديث عن نسب ابن زياد وأصله فكتب الأنساب تعرَّضت له، ومنها مثالب العرب لابن هشام الكلبي، ولاشكَّ أنَّ سِرَّ العَلَّاقةِ التي تربط بين هذين القرينين هي أنَّ ابن زياد هو صاحب السر والأمانة وسر ثبات مُلك يزيد بن مُعاوية، ولا غرابة أنَّك إذا ما أردت أن تتعرَّفَ على شخص ما ،ما عليك سِوى معرفة من يُصاحِبُ ؛لأنَّه كفيل بأخبارِكَ بِهِ، فهو مِرآتُهُ وشبيه الشيء مُنجذِبٌ إليه.

وقد كان طرفة بن العبد مُحِقَّاً حينما وصف القرين بقوله:

عنِ المرْءِ لا تَسلْ وسَلْ عن قَرينه فكُـلُّ قَرينٍ بالمُـقَارِنِ يَقْتَـدي (ناصر الدين، ٢٠٠٢م، صفحة ٣٢)

ولا يخفى على المُتلقِّي أنَّ هذا التصريح السلوكي الشعري إنَّمَا يَعكِسُ سلوكَاً شاذَّاً وَمُنحَرِفَاً، فضلاً عن ذلِكَ أنَّه غير آبِهٍ من انعكاسات هذا السلوك السيِّء على المُجتَمعِ ،وهذا التصرُف مدعاة لنشر الفجور والرذيلة ومصاحبة الفاسقين:

إذا كانَ رَبُّ البَيتِ بِالدُفِّ مولِـعاً فَشيمَةُ أَهلِ البَيتِ كُلِهِمِ الرَقصُ

فرسم سياسة الفجور والجهر به على مستوى ألقاء الشعر، كفيلٌ أن يمنح الأدعياء والطارئين أن يتخذوه مِنهاجَاً سلوكيَّاً ؛لإعلان تجاهرهُم بالفسوق، والغاء كل حواجز ومُحرَّماتِ الشريعة السَّمحاء، التي ترفض هذا السلوك غير الأخلاقي، بل سيؤدي إلى رسم خارطة طريق لأجيال مُنحرفة لا تحترم أيُّ قيم ولا تعترف بأي مبادئ، وتُهيِّئُ لفكرة فرض المُحرَّمات على الناس بل والتمادي وصولاً لِمُصادرة حقوقهم.

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزِّبَعْرَى حِينَ أَسْلَمَ: الكامل

مَـنَــعَ الــرُّقَـادَ بَــلَابِــلٌ وَهُــمُــومُ وَاللَّيْلُ مُـعْتَــلِجُ الرِّوَاقِ بَهِيــمُ

مِـمَّــا أَتَــانِــي أَنَّ أَحْمَـدَ لَامَـنِي فِـيهِ فَــبِتُّ كَــأَنَّـنِي مَحْـمُـومُ

يَا خَيْرَ مَنْ حَمَلَتْ عَلَى أَوْصَـالِهِــا عَـيْـرَانَـةٌ سُـرُحُ الْيَـدَيْــنِ غَشُومُ

إِنِّــي لَمُــعْتَــذِرٌ إِلَيْـكَ مِـنْ الَّـذِي أَسْـدَيْتُ إِذْ أَنَا فِـي الضَّلَالِ أَهِيمُ

أَيَّــامَ تَــأْمُــرُنِــي بِأَغْـوَى خُـطَّــة سَهْـمٌ وَتَــأْمُرُنِـي بِـهَا مَـخْزُومُ

وَأَمُــدُّ أَسْـبَـابَ الـرَّدَى وَيَقُـودُنِــي أَمْـرُ الْغُـوَاةِ وَأَمْـرُهُمْ مَـشْئُــومُ

فَالْيَـوْمَ آمَــنَ بِالنَّـبِيِّ مُحَـمَّــدٍ قَـلْبِي وَمُخْطِـئُ هَـذِهِ مَـحْـرُومُ

مَضَـتْ الْعَدَاوَةُ وَانْقَـضَتْ أَسْـبَابُـهَا وَدَعَـتْ أَوَاصِــرُ بَيْنَــنَا وَحُـلُومُ

فَاغْفِرْ فِـدًى لَــكَ وَالِـدَايَ كَــلاهُم زَلَــلِي، فَــإِنَّكَ رَاحِــمٌ مَرْحُــومُ

وَعَـلَيْكَ مِـنْ عِلْمِ الْمَـلِيكِ عَـلَامَـةٌ نُــورٌ أَغَــرُّ وَخَــاتَمٌ مَخْـتُـومُ

اعْـطَـاكَ بَعْـدَ مَحَبَّـةٍ بُــرْهَــانَـهُ شَــرَفًا وَبُــرْهَانُ الْإِلَهِ عَــظِيمُ

وَلَقَــدْ شَهِـدْتُ بِأَنَّ دِينَـكَ صَــادِقٌ حَـقٌّ وَأَنّــكَ فِـي الْعِـبَادِ جَـسِيمُ

وَاَللَّهُ يَشْــهَدُ أَنَّ أَحْمَــدَ مُصْطَـفًى مُسْتَقْبَلٌ فِــي الصَّــالِحِينَ كَـرِيمُ

قَــرْمٌ عَــلَا بُـنْيَانَــهُ مِــنْ هَـاشِمٍ فَـرْعٌ تَمَكَّــنَ فِي الــذُّرَا وَأُرُومُ (الجبوري، ١٩٨١م، صفحة ٤٣)

الاعتذار يُغيّرُ وجهات النظر، ويعزز الثقة والتعاون، والتعايش بين أفراد المجتمع وهو ناتجٌ عن نُبلٍ وتسامح، وَيَنُم عن توبة وتقوى واستغفار، وكبارُ النفوس يعترفون بأخطائهم ويفهمون الاعتذار فهمًا أنيقاً.

أمَّا صِغار النفوس فيتهربون منه ظَنّاً أَنَّ ذلك ينقص من رجولتِهم، غيرَ أَنَّهُ يَفتح أبواب التواصل، وفَتح نافذة للبدء من جديد.

مَـنَـــعَ الــرُّقَـادَ بَــلَابِــلٌ وَهُــمُــومُ والـلَّيْلُ مُـعْتَــلِجُ الرِّوَاقِ بَهِيــمُ

مطلع القصيدة (حضارية) وليست أطلاليّة ، بمعنى أَنَّ الاسلامَ قد تغلغل في النفوس وحملت كل عناصر الجمال الفني الجاهلي، وحملت الايمان بحتمية الرسالة المحمّدية . وكان عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزِّبَعْرَى امتِدَاداً للتيار الثقافي الجَاهلي، وأنصهر في بودقة الاسلام، وَلَخَّص كل مشاكله ،وهي قصيدة مفصليّة ثقافيّة لانهيار قيمِ الجاهلي واستقرار قيمِ الاسلام في التفكير الديني؛ لأنَّ ابن الزِّبَعْرَى وريث مدرسة شعريّة ومنظومة ثقافيّة، وتُعَدُّ قصيدته معلّقة أخلاقيّة تؤمن بالمقدسات ،ركّز فيها على تمرّده على الواقع الجديد، وهي أزمة كان يعاني منها الشاعر، وتُعَدُّ وثيقة مهمّة على الجسر الرابط بين الثقافة الجاهلية والإسلامية .

مِـمَّــا أَتَــانِـــي أَنَّ أَحْمَــدَ لَامَـنِي فِـيهِ فَـبِتُّ كَــأَنَّــنِي مَــحْمُــومُ

يَا خَيْرَ مَنْ حَمَـــلَتْ عَلَى أَوْصَالِهَا عَـيْـرَانَـةٌ سُـــرُحُ الْيَـدَيْــنِ غَشُومُ

ارتبط المقام الخطابي بمطابقة الكلام لمقتضى الحال، بمعنى أن يكون الكلام مُنسجِمَاً مع اعتبار السياق الداعي إلى صياغتهِ ، ويكون الكلام بليغاً بمقدار مناسبة الكلام لِمَا يقتضيه الحال فيكون بليغاً ،وقد اتخذ الشاعر من مقام النبوة مُستنداً، فقد دخل إلى الحضرة النبوية بمدحه والاعتذار منه،

إنِّـــي لَمُــعْتَــذِرٌ إلَيْــكَ مِــنْ الَّــذِي أَسْـدَيْتُ إذْ أَنَا فِـي الضَّلَالِ أَهِيمُ

ويتضح أن مقام النبوة مُفعم بالأمل والقداسة وقد سعى إلى أن يُقارب مدخله الحجاجي بمؤشرات تَدِلُّ على استيعابه للسياق الجديد الذي نبع من داخله مُبتُعَدُّاً عن مآخذ قديمة كانت السبب في عدوله عن سبيل الحق.

أَيَّــامَ تَــأْمُــرُنِـــي بِأَغْـوَى خُـطَّـــةً سَهْـــمٌ وَتَــأْمُرُنِـي بِـهَـا مَـخْزُومُ

وَأَمُـــدُّ أَسْـبَـابَ الـرَّدَى وَيَقُـودُنِـي أَمْـرُ الْغُـوَاةِ وَأَمْـرُهُمْ مَـشْنُـــومُ

وهي أيام مثلت حُقبة مهمة من حياته فقد شارك المشركين في حربهم في بدر وأُحد، ووصف هذا السلوك بأنه غواية من سهم وهم قبيلته، وبني مخزوم الذين كان لهم تأثير واضح في غوايته، وواضح الندم على ما لحقه من جراء هذا الموقف.

فَالْيَـوْمَ آمَـــنَ بِالنَّـبِيِّ مُحَـمَّـــدٍ قَـلْبِي وَمُخْطِـئُ هَـذِهِ مَـحْـرُومُ

يسعى الشاعر إلى الإمساكِ بخيط يُنَظِّم قصيدته الاعتذارية عبر تَحريك الباعث النفسي الذي ألقى بظلالِهِ على هذا النسيج الفني مُحركاً عناصره اللغوية

مَضَـتْ الْعَدَاوَةُ وَانْقَـضَتْ أَسْبَابُـهَا وَدَعَـتْ أَوَاصِـرُ بَيْنَـنَا وَحُـلُومُ

مُعتذراً بزوالِ أسباب العِداء، مُتلمِّساً ما بين القُرشيين من صلة قرابة، وهي توجيه حِجَاجي؛ لاستمالة المُتلقي واستعطافهِ،

فَاغْفِرْ فِـدًى لَـكَ وَالِـدَايَ كلاهُما زَلَّـلِي، فَـإِنَّكَ رَاحِـمٌ مَرْحُـومُ

عبر طلب المغفرة، مُفدياً له والديه، وهو جديرٌ بهذا الفداء؛ لأنَّه رحمةُ الله التي وسعت كُل شيء،

وَعَـلَيْكَ مِـنْ عِلْمِ الْمَـلِيكِ عَـلَامَـةٌ نُـورٌ أَغَـرُّ وَخَـاتَمٌ مَخْـتُـومُ

وينطلق من ذكر صفات النبي(صلى الله عليه واله)تُميِّزُهُ من غيره، فهو نورٌ أغر لا شبيه له، وهذا شيء لا ينكره الشاعر ؛فإحساسه بالهيبة وشعوره بالرهبة والقداسة التي تتمتع بها الحضرة النبوية المُقدَّسة.

أَعْـطَـاكَ بَعْـدَ مَحَبَّـةٍ بُـرْهَـانَهُ شَـرَفًا وَبُـرْهَانُ الْإِلَهِ عَـظِيمُ

ويَعمِدُ الشاعر إلى بيت القصيد وهو اعترافهِ أنَّ التسديد الإلهي والبرهان الربَّاني هو سِرُ تَفوّقِ النبي(صلى الله عليه واله)فقد جَمع بين المَحبَّة والبُرهان وهذا ما لا يَجتَمعُ عند غيره،

وَلَقَـدْ شَهِـدْتُ بِأَنَّ دِينَـكَ صَـادِقٌ حَـقٌّ وَأَنَّـكَ فِـي الْعِـبَادِ جَسِيمُ

وَاَللَّهُ يَشْـهَدُ أَنَّ أَحْمَـــدَ مُصْطَفًى مُسْتَقْبَلٌ فِـي الصَّـــالِحِينَ كَـرِيمُ

ومن ثَمَّ يُقرُّ أنَّ ما جاء بِهِ من دين جديد هو الصدق بعينه، وهي نتيجة جاءت عبر توجيه حِجَاجي طِوال القصيدة ،فتَأَكَّدَ بِما لا يدع مَجالاً للشك، أنَّ الله يشهد لرسول الله(صلى الله عليه واله) ديمومة الرسالة، وأنَّه من الكرام الصَّالحين ويختم قصيدته:

قَـــرْمٌ عَـلَا بُـنْيَانَـــهُ مِـــنْ هَـاشِمٍ فَـــرْعٌ تَمَكَّـــنَ فِي الـذُّرَا وَأُرُوم

فهو السيِّدُ المُعَظَّم فضلاً عن ذلكَ أنَّه من هاشم التي تُعَدُّ أشرف بيوتات قُريش، وأشرفها ،وقد أكرمها الله جل جلاله، برسول الله(صلى الله عليه واله)على ما لها من كرامة و حظوة.

لا يخفى أنَّ الخطاب الشعري الذي أنجزه الشاعر يتوجَّهُ نحو قصدٍ سلوكي، وهو بثُّ روح الاعتذار والتسامُح وطلب الصَّفحِ ، فالفعل الكلامي الذي نَظَّمَ هذا الخطاب هو فعل الاعتذار، والإيتوس الذي يؤسسه منتج الخطاب يدعم ويُغذِّي هذا السِّلوك ليكون تابعاً وخادِمَاً له.

ثالثاً: المِحْوَرُ المعرفي : ويتضمن مجموعة المعارف ،والمعلومات التي تُعَرِّفُنَا بِالقِيمَةِ المُراد تعلمها وما تحمله من معانٍ مختلفةٍ، وتُشير المعرفة إلى قدرة بعض الأشخاص على القيام بخطوات معينة تخص حقلاً ما، ومن بين هذه الحقول طلب الَعَلَّم والحَثِّ عليه ،والركون إلى الحِكمة وفلسفة الأشياء بطريقة نافعة ومُثمرة.

ويفصِّل الشاعر محمود الوراق في كيفية تحصيل الَعَلَّم بقوله: (الطويل)

أخِي لَـــن تَـــنَالَ الَعَلَّمَ إلَّا بِستَّةٍ سـأُنْبِيْكَ عَـن تَـأوِيْـلِـهَـا بِبِـــيَانِ

ذَكَاءٌ، وَحِـرْصٌ ،واصْطِبَـارٌ ،وَبلغَةٌ وَإرْشَادُ أسـتاذ، وَطـيْبِ زَمَـــانِ (قصاب، ١٩٩١م، صفحة ١٩)

ارْتَبِطُ الَعَلَّمُ بِنَوْعِ الوَعْي وَانْمَاطِهِ المُخْتَلِفَةِ، فَالوَعْيُ فَهْمُ الذَّاتِ وَالمَوْضُوْعِ مَعَاً وَادْرَاكِهِمَا عِبْرَ عَقْلَانِيَّةٍ مَنْطَقِيَّةٍ وَوَاقِعِيَّةٍ فِي حِدُوْدِ التَّجْرِبَةِ وَالعَقْلِ وَالوِجْدَانِ، ولابُدَّ من أَنْ يَمْتَلِكَ مُنْتِجُ الخِطَابِ وَعْياً تَوْجِيْهِيَّاً ،يَسْعَى فِيْه إلى رَصْدِ الوَاقِعِ وَمُعْلِنَاً عن اسْتِحْصَالِ الَعَلَّمِ، عِبْرَ تَجْرِبَتِهِ التِي أَجْرَى تَصْوِيْرَهَا بِوَعْيٍ اكْتَسَبَهُ مِن رَصِيْدٍ مَعْرِفِي حَرَصَ مُنْتِجُ الخِطَابِ عَلَى طَرْحِهِ، فَأَصْبَحَ الَعَلَّمُ أَسَاسِيَّاً فِي تَصْوِيْرِ رُؤْيتِهِ عَلَى وِفْقِ المَبْدَأِ الذِي اعْتَمَدَهُ وَآمنَ بِهِ لِاخْتِيَارِ خِطَابِهِ ،وَيُمْكِنُ أَنْ نَلْحَظَ ذَلِكَ مِن سَيْطَرَةِ نَبْرَةِ الشَّاعِرِ المُفْعَمَةِ بالتَّوْجِيْهِ الذِي اتَّسَمَ بِحُضُوْرِ فَاعِلٍ وبِوَعْيٍ وَدِرَايَة مِن عَتَبَاتٍ سِت (الذَّكَاء والحُرص والاصطِبَار والبُلغة(ما يكفي لسدِّ حاجة) وإرشاد أُستَاذ، ثُمَّ طِيبُ الزَّمَانِ) وَهِي خُلَاصَة تَجْرِبَةٍ عَاشَهَا الشَّاعِرُ وَتَوَّجَهَا بِهَذَا البَيَانِ المَشْحُوْنِ بالإقْنَاعِ والذِي عَبَّرَ عَن ظُرُوْفِ اِنتَاج الَعَلَّمِ.

وهب الله الانسان العقل؛ ليُميزهُ به من سائر مخلوقاته، فكان على الفرد أن يوسع مداركه؛ ليمتلك زمام الأمور التي تساعده في إعمار هذه الأرض، ولحقل الَعَلَّم دورٌ مُمَيَّزٌ في نُموٍّ وتطور الشُّعوب الذي ينتُجُ من تطور الفرد، وعلى مُخْتَلَفِ الأصعدَةِ، فبه تتحقق ذاته، ويكشف ما يدور من حوله والسير حثيثَاً نحو اكتساب المهارات ،وللَعَلَّم قيمة ،ومكانة مميزة ؛لأنَّهَا تُعين الإنسان على فهم الأحداث، والحقائق و استيعابها، غير أنها تحتاج إلى ذكاء الفرد ،و رغبة في البحثِ، وراء كل ما هو نافع لتطوير ذاته .

وهنا يَحثُّ الشاعر على طلب الَعَلَّم عبر فعل الأمر الذي يحمل طابعاً توجيهيِّاً، ويعقد مُقارنة بين من يحرص على من يسعى إلى الَعَلم، ومن يبقى جاهلاً، فالإدراك والوعي وفهم الحقائق عن طريق الَعَلَّم والتأمل في طبيعة الأشياء والنفس والمعرفة مرتبطة بالبديهة والفطرة السليمة، وهنا يعمِدُ عبر هذه المُقارنة إلى رسم مناخٍ حِجَاجي يضع المتلقي في مواجهة الحقيقة، فقيمة المُتعلَّم وذاتهِ المعرفية تجعله جديراً بالرفعة وارتقاء المحافل والحضور الاجتماعي، فكبير القوم الذي لا يمتلك أي رصيد معرفي يبقى ذا قيمة اعتبارية قليلة الحيلة ولا يقوى على مجاراة المُتعلِّمين، فالمعرفة تُعَدُّ ثمرة الاتصال بين الذات المدركة والموضوع المدرك، ويمكن أن يتم بناؤها عبر التفكير، وما هي إلا محصلة ما تعلمه الإنسان من تجربة حياته ونضوجه العقلي.

فالَعَلَّمُ هو الضياء الذي به تُشرق الحياة ويتخلص الانسان من حصون الجهل والتخلُّف ،فحاجة الَعَلَّم ضروريِّةٌ لتسير الحياة ،وشرط أساسي في تَقَدُّم الأمم، فَمَا تسودُ أُمَّةٌ إلا بالَعَلَّم .

يقول : الوليد بن يزيد (الوافر)

تَلَعَّبُ بِالخِلَافَةِ هَاشِمِيٌّ بِلَا وَحْيٍ أَتَاهُ وَلَا كِتَاب

فَقُل للهِ يَمْنَعُنِي طَعَامِي وَقُل للهِ يَمْنَعُنِي شَرَابِي(المسعودي (ت ٣٤٦هـ) وعبد الحميد ، ١٩٧٣م، صفحة ١٨٣).

عَبَّرَ الشاعر عن عقيدتِهِ ومقدار معرفتهِ بالرسالة السماوية بإيمانهِ بأنَّ الخلافة الإسلامية هي لُعبة من دون أن ينزل وحي، أو وجود كتاب سماوي، وهذه المعرفة ناتجة عن عقيدته المُشوَّهة بدلالة أنَّهُ يُخاطب مُتلقِّيهِ، ومُتحدياً أنَّ الله سبحانه وتعالى، لا يستطيع أن يمنعه الطعام أو الشراب، وهو يؤكِّد ذلك عِبرَ استعانته بعبارته (قل لله) ولمرتينِ؛ ولأنَّ المعرفةَ أمانةٌ، ومسؤولية أخلاقية، ومن لا يكترث لذلك سيقوم بِنشرِ أفكارٍ مُشوَّهةٍ؛ قصد التأثير على الآخرين وزعزعة إيمانه.

أن التشوهات المعرفية لهذا النوع من الناس هي نتيجة أفكار كامنة ترسم مشاعرَ سلبيةَ عامة إتِجَاه العقيدة والسلوك الانساني السَّوي، وتؤدِّي إلى التشكيك بكل مبدأ ،وتُقلِّل كل قيمة من قيم المعرفة الحقيقة والطعن بها. وينهَجُ أبو الطُّفيل المحور المعرفي من حقل الحكمة: (الطويل)

وَمِنْ عَجَبِ الأيَّامِ وَالدَّهْرِ أَنَّهَا قُرَيْشٌ عَلَى آلِ النَّبِيِّ تَحْرِبُ

قَضَى اللهُ فِي الفُرقَانِ أَنَّ عَدَوَّهُ وَإِنْ كَانَ ذَا كَيْدٍ يَذِلُّ وَيَغْلِبُ

فَلَا تَحْسَبُوْا أَنَّ الرَّخَاءَ لِأَهْلِهِ يـَدُومُ وَلَا أَنَّ البـَلِيَّةَ تـَرْتِبُ(الآمدي(ت ٣٧٠هـ)، وكرنكو، ١٩٨٢م، صفحة ١٩١)

تُساهم الحكمة بلعب دور أساسيٍّ في التغير الاجتماعي، فهي ترسم أهدافا ومثلا عليا ينبغي على الأفراد والجماعات الوصول إليها من أعمالهم.

وقد وَظَّف الشاعر الحكمة في مقطعه الشعري بوصفها سبيلاً لأخذ العبرة من الأيام وصروفها، مُستغرباً موقف قُريش لمحاربتها أهل البيت(□)، فقد قضى الله سبحانه وتعالى مصير كُل من يُحاربهم بالذُل والخيبة، وهذه الحكمة استثمرها الشاعر من القرآن الكريم، ثُم يعرِج على تجربة من تجارب الزمان وهو دوام الحال من المُحال، فالمتغيرات في هذه الدنيا متوقعة، وهي ليس فيها أي ضمان من البلايا والانتكاسات، فالرخاء الذي يطمح به الإنسان ليس له من دوام، وممَّا لاشكَّ فيه أنَّ مثابة الحكمة في الخطاب الشعري يحمل بُعدَاً تأثيريِّاً وحِجاجيِّاً، تجعل من المتلقي واعياً ومُستفهمَاً لها، عبر تجربته وتجارب الآخرين، ففي التجارب علم يستأنفه الإنسان في حياتهِ

محمود الوراق (الوافر) :

أَتَفرَحُ أَن تـَرَى حُسـنَ الخِـضَابِ وَقَـــد وَاريـــتَ بَعضَـكَ بِالتُّـــرابِ

ألـم تَـعلـمْ وَفَـرطُ الجَهــلِ أولَـــى بِمِثـلِكَ أنَّـــهُ كَـــفَـــنُ الشَّـــبَـــابِ

لـقـد ألـزمـت لِهِـزْمَـتيْكَ هَـــوْنَـــاً وَذُلَّاً لَـم يـــكـــن لَـكَ في الحِسَابِ

أحيـــــن رَمَـى سَوَاد الرَّأسِ شَيَّـــبٌ فَـــغَيَّـرَهُ فَـــزِعْـتَ إلَـــى الخِـــضَابِ

فَـكُـنـتَ كَـمَـن أَظَلَّ عَـلَـــى عَذَابٍ فَفـرَّ مِـن العَـــذَابِ إلـــى العذَابِ

تَـهَـيَّ لِنُـقْـلَـــةٍ لابُـــــدَّ مِـنـهَـــا فقـد أثـبـت رِجـلَـــكَ فـي الرِّكَابِ (قصاب، ١٩٩١م، صفحة ٧٨)

تأتي الحِكْمَةُ لتسويغ سِلُوْكٍ مَا وَتَعْزِيْزِهِ ،وَتُثْبِتُ جَدَارَةَ صَاحِبِهَا وَقُدْرَتِهِ عَلَى الابْتِكَارِ وَالإبداع ،فَضْلَاً عَلَى ذَلِكَ تَنْمِيَةِ الرَّصِيْدِ الفِكْرِي وَالمَعْرِفِي لِلْمُتَلَقِّي ،وَتَوْضِيْحِ الطرائق لِمَن يَبْحَثُ وَيَهْتَمُّ بِهَا.

استَهَلَّ الشَّاعِرُ فِي بِدَايَةِ المَقْطَعِ الشِّعْرِي بالاستِفْهَامِ الذِي يُشِيْرُ إِلَى مَشْرُوْعِيَّةِ النَّسَقِ المَعْرِفِي الحِكَمِي فَلَيْسَ بِالضَّرُوْرَةِ أَنَّ السَّائِلَ يَبْحَثُ عَنْ إِجَابَةٍ مُحَدَّدَةٍ، وَلَا سِيَّمَا إِذَا تُعَدُّدَتِ الأَسْئِلَةُ ،وَنَلْحَظُ أَنَّ النَّسَقَ الاِسْتِفْهَامِي ارْتَبَطَ بِمُحَاوَلَةِ اسْتِدْرَاجِ لِجُزْئِيَّاتٍ وَمَشَاهِدَ صُوَرِيَّةٍ مُرْتَبِطَةٍ بِسِيْرَةِ الإِنْسَانِ ،وَعَلَاقَتِهِ مَعَ الزَّمَانِ، تِلْكَ الَعَلَّاقَةُ التِي تَمَثَّلَتْ بِمَحَطَّاتٍ لَهَا أَثَرٌ وَاضِحٌ عَلَى مَلَامِحَ جَسَدِ الإِنْسَانِ ولاسِيَّمَا الشَّيْبِ الذِي يُعَدُّ اعْلَانَاً لِسَطْوَةِ الزَّمَانِ عَلَى الإِنْسَانِ ،وَوِجُوْدِ الفِعْلِ(كنت) تُعَدُّ مُؤَشِّرَاً اخْبَارِيَّاً، تَرْصِدُ الوَضْعَ الإِنْسَانِي، الذِي لا يَبْقَى عَلَى حَالَةٍ وَاحِدَةٍ، فَهُوَ فِي مَعْرَضٍ دَائِمٍ للتَغْيِر من حال الى حال مغاير وهو نسق اخباري خاص بمراقبة الآخر، وقد ارتبطت بالحكمة التي لازمت المقطع الشعري من البداية حتى النهاية، رسم الشاعر مناخا نفسيا وثيق الصلة بمال الانسان والذي قدمه من خلال اسئلة وجودية فالشاعر اراد ان ينقل تجربته بوعي تام.

انطلق ماير من الوسَائِل الخِطَابية التي أطَّرَهَا أرسطو، والوسَائِل التي تُمكن من تحقيق الغرض وبلوغ المَأرب عديدة، منها ما يَأتِي من صورة المُتَكَلِّم لدى السَّامِع، فالإيتوس هو الرَّصِيْد الأخلاقي والتَّرْبَوِي الذي يُسعِف المُتَكَلِّم فِيْ أداء رسالته للتأثير عَلَى المُتَلَقِّي. أمَّا الباتوس(Pathos) منها ما يَأتِي من انفعالات المُستمع وعواطفه ، إذ يُخرجونه الخطباء من عن وجهته الفكرية الاِسْتِدْلالية ،ويلحّون به عَلَى هذا الجانب من الإنسَان القابل للتحريك والإثارة والانفعال. وأمَّا اللوغوس(Logos) وهو الاغلب ما يَأتِي من اللُغَة ذاتها، أي ما يبنيه الخِطَاب من وجُوْه الاِسْتِدْلال المتحقق بالقياس والاستقراء وما يتضمنه من التصديقات، يُقَدِّمُ تصورا وظيفِيْا لهذه العناصر ويختزلها فِيْ عنصرين أساسيين هما : لحظة الجواب والسؤال، ولحظة الأخلاق، يعتبر هذا التّصور الجديد فِيْ الوَظِيْفَة الحِجَاجِيِّة تجاوزا للفهم التقليدي (أرسطو و بيرلمان) الذي ينحصر فِيْ الوَظِيْفَة التي تدور حول الاستمالة والإقناع تصوّر يرتكّز عَلَى العلاقة الثُنَائِيِّة (بين المُتَكَلِّم والمستمّع) باعتبارها مكونا أساسيا فِيْ العَمَلِيِّة الحِجَاجِيِّة، فأعطى طرفِي العَمَلِيِّة الحِجَاجِيِّة الأهميّة التّي غابت عند أرسطو وبيرلمان .

النتائج :

- انطلق ماير من الوسَائِل الخِطَابية التي أطَّرَهَا أرسطو، والوسَائِل التي تُمكن من تحقيق الغرض وبلوغ المَأرب عديدة، منها ما يَأتِي من صورة المُتَكَلِّم لدى السَّامِع،

- الإيتوس هو الرَّصِيْد الأخلاقي والتَّرْبَوِي الذي يُسعِف المُتَكَلِّم في أداء رسالته للتأثير عَلَى المُتَلَقِّي.

- يرتكّز عَلَى العلاقة الثُنَائِيِّة (بين المُتَكَلِّم والمستمّع) باعتبارها مكونا أساسيا في العَمَلِيِّة الحِجَاجِيِّة، فأعطى طرفِي العَمَلِيِّة الحِجَاجِيِّة الأهميّة التّي غابت عند أرسطو وبيرلمان .

- إنّ الإنسَان في أثناء إقباله عَلَىٰ المُشافهة أو الكتابية في سياقه اليومي، نراه قد يكون مشحونَاً بسيل من الاسْئِلَة الذهنيِّة التي تعنيه وتُشغل باله في قضية ما .

- قيمة الإيتوس تَكْمِنُ في الإيغَالِ والاستِقصَاء، والنتاج الإبداعي في هذا المستوى يُعدُّ نَسِيجَاً من الشكِّ والقلق والتَّساؤُل ،وليس عبارة عن قطيعٌ من الكلِمَات السائرة من غير هُدَى .

المـــصادر والمـــراجع :

١) القُرآن الكريم

٢) ليونيل بلنجر. (٢٠١٠). عدّة الأدوات الحِجَاجيّة بحث في كتاب الحجاج مفهومه ومجالاته ـ دراسات نظرية و تطبيقية في البلاغة الجديدة ــ اشراف د. حافظ اسماعيلي علوي، ، (المجلد ١). (قوتال فضيلة،، المترجمون) أربد، الاردن: عالم الكتب الحديث.

٣) . هارون عبد السلام محمد، و البغدادي. (١٩٩٧م). خزانة الأدب وَلُب لُباب لسان العرب ،. القاهرة: مكتبة الخانجي.

٤) الكتاب المقدس العهدين القديم والجديد، ، ، (المجلد ط٣). (٢٠١٣م). القاهرة: دار الكتاب المقدس.

٥) أَبِي الحسن بن علي المسعودي (ت ٣٤٦هـ)، و حسن. مرعي. كمال. (٢٠٠٥م). مروج الذهب ومعادن الجوهر :(٣/ ٦١و٦٢). (المجلد ١). بيروت: المكتبة العصرية.

٦) أبي الحسن علي بن الحسين المسعودي (ت ٣٤٦هـ)، و محمد محي الدين عبد الحميد . (١٩٧٣م). مروج الذهب ومعادن الذهب (المجلد ٥). بيروت: دار الفكر.

٧) أَبِي الحسن علي بن محمد الوادعي، أَبِي عبد الرحمن تركي بن عبد الله الواسطي المعروف ابن المغاز. (٢٠٠٣م). مناقب أمير المؤمنين علي بن أَبِي طالب ، (المجلد ط١،١٠١). اليمن، صنعاء: دار الآثار للنشر والتوزيع،.

٨) ابي القاسم الحسن بن بشر الآمدي(ت ٣٧٠هـ)،، و ف .كرنكو. (١٩٨٢م). معجم الشعراء معجم الشعراء، المؤتلف والمختلف في اسماء الشعراء وكناهم والقابهم وانسابهم وبعض شعرهم. (المجلد ٢). بيروت: دار الكتب الَعَلَّمية.

٩) أَبِي عثمان عمر بن بحر الجاحظ، و عبد السلام هارون. (١٩٩٨م). البيان والتبيين ، (٣/ ٣٦٠) . (المجلد ٧). القاهرة: مكتبة الخانجي.

١٠) الصالح .صبحي. (٢٠٠٤م). نهج البلاغة ،، بيروت، (المجلد ٤). القاهرة ، بيروت: دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني.

١١) محمد مهدي ناصر الدين. (٢٠٠٢م). ديوان طرفة بن العبد (المجلد ط٣). بيروت: دار الكتب العلمية.

١٢) جمال الدين محمد بن يوسف بن الحسن بن محمد الزرندي، و علي عاشور. (٢٠٠٤م). نظم درر السمطين في فضائل المصطفى والمرتضى والبتول والسبطين (المجلد ١). دار احياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع.

١٣) حاتم عبيد. (اكتوبر – ديسمبر،، ٢٠١١م). منزلة العواطف في نظريات الحِجَاج،. مجلة عالم الفكر، ع(٢) المجلّد(٤٠)، صفحة ٢٤٤.

١٤) حمَّادي، صولة. عبد صمُّود،. (بلا تاريخ). الحِجَاج أُطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مُصنَّفٌ في الحِجاج _ الخطابة الجديدة لبرلمان وتيتكاه_ ضمن كتاب أهم نظريات الحِجَاج في التَّقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم. تونس: كلية الآداب.

١٥) سامية . الدريدي. (٢٠١١م). الحِجَاج في الشعر العربي – بنيته وأساليبه– (المجلد ٢). الاردن: عالم الكتب الحديث.

١٦) صدر الدين علي بن أَبِي الفرج بن الحسن البصري (ت ٦٥٦هـ). (١٩٩٩م). كتاب الحَماسة البصريِّة، ، تحقيق ، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط١، ١٩٩٩م: ١٠٦ . (د. عادل سليمان جمال، المحرر) القاهرة: مكتبة الخانجي.

١٧) عبد العالي قادا . (٢٠١٦). بلاغة الإقناع دراسة نظرية وتطبيقية (المجلد الاولى). الأردن: دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع.

١٨) عبد اللطيف. (٢٠١٣م). بلاغة الاقناع في المُناظرة . (المجلد ط١). الرباط، المغرب: دار الأمان.

١٩) عبد الله ابن المعتز. (بلا تاريخ). ديوان ابن المعتز،. بيروت .: دار صادر،.

٢٠) قادم. أَحمد. (٢٠١٦م). بانت سُعاد لكعب بن زهير. مقاربة حِجَاجيّة. بحث في دراسات التحليل الحِجَاجي للخِطَاب(بحوث مُحكّمة) مجموعة باحثين٢٠١٦م:٥٥٥. (المجلد ط١). عمّان: دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع.

٢١) لأَبِي بكر محمد بن يحيى الصولي (ت٣٣٥هـ)،. (١٩٣٦م). أشعار أولاد الخلفاء من كتاب الأوراق، (المجلد ١). القاهرة: مطبعة الصاوي.

٢٢) محمد مشبال. (٢٠١٧م). في بلاغة الحِجَاج نَحوَ مُقاربة بلاغيِّة حِجَاجِيِّة لِتَحْلِيلِ الخِطَاب (المجلد ط١). ، عَمَّان، الاردن،: دار كنوز المعرفة.

٢٣) هاجر مدقن. (٢٠١٣م.). الخطاب الحِجَاجي أنواعه وخصائصه، ، ، (المجلد ط١). الجزائر: منشورات الاختلاف،.

٢٤) وليد قصاب. (١٩٩١م). ديوان محمود الوراق (المجلد ١). الامارات: مؤسسة عجمان.

٢٥) يحيى الجبوري. (١٩٨١م). شعر عبد الله بن الزبعري . (المجلد ط٢). بيروت،: مؤسسة الرسالة.